الصحوة الراشدة هى الأمل

أنا لا أريد « تبسيط » الأمور ، ولا التهوين من العقبات أمام الصحوة ، فهى عقبات جسام ولا شك ، لا يجحد ذلك إلا جاهل أو مكابر ، ومع هذا أقول :

إن المزية الكبرى لهذه الصحوة : أنها تجسد الاتجاه الوحيد المعبر بصدق عن ضمير هذه الأمة ، وعن هويتها الحضارية والعقائدية ، الممثل لشخصيتها التاريخية ، المصور لطموحاتها وآمالها النابعة من ذاتها وروحها وكينونتها الحقيقية .

فقد أثبت استقراء الواقع كما أثبتت قراءة التاريخ : أن روح الأمة هو الإسلام ، وأنها لا تعيش إلا به ، ولا تنطلق إلا منه ، ولا تبذل النفس والنفيس إلا من أجله ، ولا تجتمع كلمتها إلا عليه ، فهو المفتاح الوحيد الذى به تفتح كل مغاليقها التى استعصى فتحها ، وبغيره لن تفتح أبدًا .

ومن ثم لم تحقق نصرًا يذكر فى تاريخها القريب والبعيد ، ولا فى حاضرها المشهود إلا تحت لوائه .

وكم جربت هذه الأمة من دعوات ، وسمعت من صيحات ، تريد أن تقودها بغير الإسلام ولغير الإسلام ، فلم تثمر إلا الشتات والضياع والخذلان .

إن الفلسفات والدعوات الوافدة من الغرب والشرق ، والحلول المستوردة من اليمين واليسار ، لم تحقق إلا الإخفاق والفشل فى كل الميادين : عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وأخلاقية .

وعيب هذه الفلسفات والأفكار والأنظمة : أنها دخيلة علينا ، غريبة عن روحنا وتكويننا العقدى والفكرى ، فهى عاجزة أن تخاطب « جوانية » إنساننا المسلم ، وأن تقوده من مسلماته العقلية ، وأن تفجر طاقاته المكنونة ، التى يستطيع بها أن يغير مجرى الأحداث ، كما سجل التاريخ لأسلافه من قبل .

لن تتحرك هذه الأمة وتصنع العجائب إذا أنشدتها معلقة امرئ القيس ، أو قصيدة عمرو بن كلثوم .

ولن تتحرك وتصنع العجائب إذا قرأت عليها مؤلفات « چان چاك روسو » ، أو « كارل ماركس » ، أو « چون ديوى » ، أو « ماوتستونج » ، أو « چان بول سارتر » .

إنما تتحرك حقًا وتصنع العجائب إذا حركتها بالقرآن ، وقدتها بالإيمان ، ورفعت أمامها راية الإسلام ، وذكرتها بإمامها وزعيمها محمد عليه السلام .

وما لنا نذهب بعيدًا ؟ وقد جربنا ورأينا ، وشاهدنا وشهدنا : أنهم يوم نادوا بشعارات القومية والاشتراكية والتقدمية وما شابهها ، لم يستطيعوا أن يغيروا من واقع الأمة شيئًا ذا بال ، وما حققوه من مكاسب أو إنجازات - فى نظر البعض على الأقل - خسرت الأمة

أضعافه فى جوانبها الأخرى ، مادية ومعنوية ، وما زالت الأمة تعانى من ثماره المرة ، وخسائره غير المباشرة ، التى تظهر آثارها فى حياتنا العامة يومًا بعد يوم .

* * *

● **واجبنا نحو الصحوة :**

إن الصحوة الإسلامية هى أمل الغد لأمتنا ، وهى التى تستطيع أن تقود سفينة الإنقاذ بقوة وجدارة إذا ما ساعدناها نحن العرب والمسلمين على أداء رسالتها ، وساعدت هى نفسها أيضًا ، وذلك بما يلى :

(أ) **أن تكون صحوة لنا جميعًا** : لا أن يقف فريق منا معها ، وفريق يقاومها ، ونقضى العمر فى جذب وشد ، ومد وجزر ، دون أن ننجز شيئًا كبيرًا .

يجب أن نقف كلنا وراء الصحوة ، وأن يزول هذا التفريق بين « مسلمين » ، و« إسلاميين » ، مسلمين بوراثة العقيدة ، وإسلاميين بالتوجه والولاء ، يجب أن نكون كلنا إسلاميين ، بمعنى أن يكون : انتماؤنا إلى الإسلام ، وولاؤنا للإسلام ، وتوجهنا إلى الإسلام ، ومرجعنا إلى الإسلام ، حتى غير المسلمين ، يمكن أن يكونوا كذلك فيؤمنوا بحتمية الحل الإسلامى ، وإن لم يؤمنوا بحقيقة الاعتقاد الإسلامى ، فهم مسلمون بالثقافة والحضارة ، وإن لم يكونوا مسلمين بالعقيدة والديانة .

وأحب أن أنبه هنا على تميز مهم ، هو الفرق بين الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية .

* * *

● **بين الحركة الإسلامية والصحوة الإسلامية :**

فالحركة الإسلامية لها مدلول معين يعنى ارتباطًا وتنظيمًا وقيادة وجندية ، أما الصحوة فهى تيار عام يشمل كل العاملين للإسلام ، جماعات وأفرادًا ، ويضم معه كل المهتمين والغيورين على الإسلام .

وعلى أمته ، وعلى أوطانه ، وإن لم يضمهم عنوان أو لافتة ، أو لم يدخلوا فى إطار هيئة أو جمعية .

الصحوة تيار تلقائى ، لا ينسب إلى جماعة بعينها ، ولا إلى مدرسة فكرية بعينها ، ولا إلى اتجاه سياسى بعينه ، بل يضم الجميع فى رحابه الفيحاء .

إنه التيار الذى لا يربط بين آحاده وفئاته إلا حب الإسلام ، والاعتزاز به ، والحرص على خير أمته وإعلاء كلمته ، والتمكين له فى الأرض ، عقيدة وفكرًا وسلوكًا وتشريعًا وحضارة ونظامًا للحياة .

(ب) أن نوفر للصحوة مناخ الحرية والأمان ، لتعمل بلا خوف :

ولا تربص ، وبغير قيود وأغلال ، ودون حواجز وأسوار ، ومثل هذا المناخ خليق أن تنطلق فيه القوى كلها : وتنطلق يه العقول لتبدع ، وتنطلق العزائم لتعمل ، والقدرات لتتقن وتتطور . أما جو الخوف

والقيود والحواجز والكبت ، فليس وراءه إلا العجز والكسل ، والخمول والضياع .

(جـ) **يجب ألا نتعامل مع الصحوة من عقدة الخوف** : أن تنحرف كما انحرف رجال الدين فى الغرب المسيحى ، أو كما انحرف رجال الملك فى الشرق الإسلامى ، وكأننا نحملها أوزار انحراف التاريخ كله ، فى العالم كله !

علينا أن نعطيها الفرصة لقيادة الأمة فى معركة التحرير ، ومعركة البناء ، وسائر معاركها السبع [1] ، كما أعطيت للاتجاهات والحلول المستوردة الأخرى يمينية ويسارية ، ليبرالية وثورية .

فالحل الوحيد الذى لم يأخذ فرصته بعد النهضة هو : الحل الإسلامى الذى تنادى به الصحوة ، مع أنه الحل الذى يمثل القاعدة الجماهيرية العريضة فى شعوبنا باعتراف جميع المراقبين والدارسين .

* * *

● واجب الصحوة نحو نفسها :

(د) **أما الصحوة نفسها** : فنريد منها أن تنزل إلى الشعب ، إلى الشارع العربى المسلم وتتفاعل معه ، تعلم الجاهل ، وتنبه الغافل ،

---

(١) أعنى بها المعارك ضد : التخلف العلمى والتكنولوچى ، والتبعية الفكرية والسياسية ، والظلم الاجتماعى ، والاستبداد السياسى ، والخطر الصهيونى ، والتمزق القومى ، والتسيب الأخلاقى ، وهى الهموم الكبرى للوطن العربى والإسلامى .

وتدرب العاطل ، وتساعد العامل ، وتعين المحتاج ، وتقوى الضعيف ، وتعالج السقيم ، وتقوم المنحرف ، وتربى الجيل ، وتأخذ بيد الضال إلى الهداية ، والعاصى إلى التوبة ، ولا تتعالى على المجتمع ، وهى جزء منه ، ولا تنظر إليه على أنه هالك ، وهى وحدها الناجية ! فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم : « إذا سمعتم الرجل يقول : هلك الناس ، فهو أهلكهم » أى أقربهم إلى الهلاك لغروره وعجبه ، واحتقاره لغيره .

(هـ) **أن تصحح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام** : لدى الخاصة والعامة ، سواء مفاهيم « الجمود » الموروثة عن عهود التخلف ، أم مفاهيم « الجحود » التى أدخلها الاستعمار الثقافى فى حياتنا ، وأن تقوم بدورها فى « التوعية » تمهيدًا لدورها فى « التربية » وهما متكاملان .

(و) **أن تجعل الصحوة أكبر همها** : أن تتسامح ولا تتعصب ، وأن تجمع ولا تفرق ، وتدرك أن العالم من حولها شرقًا وغربًا ، ينسى خلافاته ، ويتقارب على كل مستوى : على المستوى الدينى ، تتقارب المذاهب النصرانية ، وتتقارب اليهودية والنصرانية ، وقد رأينا وثيقة الفاتيكان فى « تبرئة اليهود من دم المسيح » ! ، وعلى المستوى الاقتصادى رأينا التكتل الأوروبى ، والتكتلات الأخرى فى العالم ، فنحن فى عصر التكتلات الكبرى لا الجماعات الصغيرة .

فلا يجوز أن تشتغل فصائل الصحوة بالمعارك الجانبية ، والمسائل

الهامشية ، التى يتعذر أن يتفق الناس فيها على رأى واحد ، وعليهم أن يهتموا بالقضايا المصيرية والمسائل الكبرى ، ويتبنوا قاعدة المنار الذهبية : « نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه » .

ولا مانع من تعدد مدارس الصحوة وفصائلها ، على أن يكون تعدد تخصص وتنوع ، لا تعدد تناقض وتضاد ، وأن يتفاهم الجميع ويتضاموا ويتضامنوا فى القضايا الكبرى ، التى يجب أن يكونوا فيها صفًا واحدًا .

(ز) **أن تكون صحوة بناء لا هدم** : وأن يكون همها إضاءة الشموع لا سب الظلام ، وإماطة الأذى عن الطريق لا لعن من وضعه فيه ، فالنبى ﷺ لم يبعث لعانًا ، ولكن بعث رحمة . حتى إن النبى ﷺ قال لمن سب الشيطان : « لا تقل : تعس الشيطان ، فإنك إن قلت ذلك انتفخ حتى يصير كالجبل ، ويقول : صرعته بقوتى ، ولكن قل : بسم الله ، فإنه يتصاغر حتى يصبح كالذباب » رواه أبو داود .

(ح) **أن تفتح باب الحوار مع كل التيارات الوطنية المخالفة** : مؤكدة لمواضع الاتفاق ، متفاهمة فى نقاط الاختلاف ، داعية - كما أمر الله تعالى - بالحكمة لا بالسفاهة ، وبالموعظة الحسنة ، لا بالجملة العنيفة ، وبالجدال بالتى هى أحسن ، لا بالتى هى أخشن .

(ط) **ألا تشتغل بالفروع عن الأصول** : ولا بالجزئيات عن

الكليات ، ولا بالشكل عن الجوهر ، ولا بالنوافل عن الفرائض ، وأن تتعمق فى « فقه الأولويات » حتى لا تختل النسب الشرعية بين التكاليف ، فتقدم ما حقه التأخير ، وتؤخر ما حقه التقديم ، وتعظم الهين من الأمور ، وتهون العظيم ، وقد قال الإمام الغزالى بحق : « فقد الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور » ، كما قرر علماؤنا : إن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة ، ولا يقبل الفروع ممن ضيع الأصول .

(ى) **أن تراعى سنن الله فى خلقه** : وهى سنن ثابتة لا تتبدل ، صارمة لا تجامل ، فلا تلتمس حصادًا بغير زرع ، ولا تستعجل ثمرة قبل أوان نضجها ، وتعلم أن لكل شىء فى الكون قانونه المطرد ، فمن صادم قوانين الكون صدمته ، ومن غالبها غلبته ، ومن عمل من خلالها مهتديًا بهدى الله كان نصيبه الفلاح فى الأولى والآخرة .

* * *

● معارك فكرية يجب أن تتوقف :

وعلينا إذا كنا جادين فى البحث عن الخلاص ، أن ننهى الخلافات المعلقة دون حسم أو تحديد .

ولكى نختصر الطريق على الباحثين والمناقشين ، أود أن أعلن بكل وضوح : أن هناك قضايا فكرية طال عليها الأمد ، وعقدت لها المؤتمرات والحلقات والندوات ، وأعتقد أن الرؤية فيها قد وضحت ، وينبغى أن ينتهى الاختلاف فيها ، والاتفاق على أصولها .

يجب أن نفض الاشتباك - بلغة العسكريين - بين أمور طالما حدث الاشتباك بينها نتيجة لغموض المصطلحات ، وعدم تحديد المفاهيم ، أو رغبة قوم فى بقاء هذا الاشتباك أو النزاع مستمرًا دون كلمة فاصلة .

من هذه الأمور :

١ - الاشتباك بين الدين والعلم :

فهذه معركة نشأت فى غير أرضنا ، ولم توجد عندنا يوما ، وكما قلنا ونقول دائمًا : إن الدين عندنا علم ، والعلم عندنا دين ، ولا يوجد داعية ولا فقيه ولا أحد ينتمى إلى الصحوة الإسلامية ، يقول بالاستغناء عن العلم ، أو إغلاق الباب فى وجه التكنولوچيا ، بل يرون ذلك فريضة دينية ، وضرورة حيوية ، فلا مبرر لافتعال خصومة أو معركة حول هذا الموضوع المنتهى .

٢ - الاشتباك بين الأصالة والمعاصرة :

فالمفهومان غير متعارضين أصلاً ، إلا إذا جعلنا « الأصالة » بمعنى « الانغلاق » على الماضى وحده غافلين عن متاعب الحاضر وآمال المستقبل ، رافضين كل تجديد أو اجتهاد ، أو اقتباس للحكمة من أى وعاء . . أو جعلنا « المعاصرة » بمعنى « الانفلات » من تراثنا كله : الملزم وغير الملزم ، الثابت والمتغير ، الإلهى والبشرى ، إن جاز لنا أن نسمى الجانب الإلهى « القرآن والسُّنَّة » تراثًا .

على أن هذا لا يعنى أن الأمر سهل ، فلا بد من بذل جهد كبير

من أهل العلم والفكر المخلصين ، لتمييز الإلهى من البشرى فى التراث ، والملزم من غير الملزم ، والثابت من المتغير منه ، وكذلك النافع من غير النافع من المعاصر ، والملائم لنا من غير الملائم ، فليس كل ما فى « العصر » خيرًا ، فكم فيه من « سلبيات » ضارة بل قاتلة .

٣ - الاشتباك بين العروبة والإسلام :

فالعروبة فى الواقع عميقة الصلة بالإسلام ، فالعربية لسان قرآنه وسُنَّته ولغة عبادته وثقافته ، والعروبة وعاؤه ، وأرض العرب معقله وحصنه ، بها مقدساته ومساجده التى لا تشد الرحال إلا إليها ، والعرب هم حملة رسالة الإسلام إلى العالم والصحابة كلهم عرب ، ومن لم يكن عربى العرق منهم أصبح عربى اللسان والقلب ، « ومن تكلم العربية فهو عربى » ، وقد جاء فى الأثر : إذا عز العرب عز الإسلام ، وإذا ذل العرب ذل الإسلام .

العروبة إذن عميقة الصلة بالإسلام ، والإسلام كذلك عميق الصلة بالعروبة ، ولا تعارض بين العروبة والإسلام ، إلا إذا كانت العروبة « علمانية » ، وهى التى لا تقبل الإسلام حكمًا ، أو كان الإسلام « شعوبيًا » وهو الذى يعادى العرب ، والواقع أن الإسلام يجعل للعرب مكانة خاصة ، ويعرب مشاعر المسلمين من غير العرب ، إن لم يعرب ألسنتهم وثقافتهم .

* * *